مساهمة التواصل الصوفي في انتشار الطرقية بين الجزائر وتونس

الطريقة الشابية نموذجا .

The Contribution of the Sufi Communication to the Spread of Tariqa Between Algeria and Tunisia: The youthful Tariqa as a model.

ولد أحمد عبد القادر، جامعة ابن خلدون تيارت ، الجزائر ouledahmedake@yahoo.fr

تاريخ الاستلام: 2020/08/22 تاريخ القبول: 2020/09/19 تاريخ النشر: 2020/12/31

الملخص:

إن التواصل الثقافي وما صاحبه من تنوع الثقافات المتعددة لبلدان بلاد المغرب على الحدود الشرقية أو الغربية أو الجنوبية ،كان الفضل الأول فيه الى الطرق الصوفية التي عرفت انتشارا واسعا بين القبائل الحدودية في كل الجهات، ومن بين الطرق الصوفية في الجهة الشرقية بين الجزائر وتونس الطريقة الشابية التي لعبت دورا فعالا في نشر روابط الأخوة ومساهمتها في توطيد الروابط الثقافية بيئة القبائل الحدودية .

الكلمات المفتاحية:أحمد الشابي – التصوف – الطرق الصوفية – القبيلة – الشابية .

Abstract

The cultural communication and the accompanying cultural diversity of the Maghreb countries on the eastern, western or southern borders was the essential factor for the wide spread of the sufi ways (Tariqa) among tribes at borders. One of these Sufi ways in the eastern parts between Algeria and Tunisia was the youth way which played a great role in creating a strong relation of brotherhood and culture among the eastern tribes at borders.

Keywords: Ahmed AlShabi - Sufism – Sufi ways - the tribe - the youth .

المقدمة :

إن المتتبع لظاهرة التصوف التي عرفتها منطقة بلاد المغرب الإسلامي أنها انتقلت عن طريق شخصيات متصوفة التي ساهمت في نشر هذا العلم، أو المنهج الديني المقيد حسب مبادئ وقواعد الشريعة، ولقد صاحب التصوف خلال العهد العثماني ظاهرة جديدة عرفت بالطرق المرتبطة بالتصوف وشخصية المرابط وبهذا امتزجت الظاهرتين وانتشرت ما يعرف بالطرق الصوفية المرتبطة أساسا بشيوخ وعلماء التصوف أمثال الشيخ عبد القادر الجيلاني المعروف بالطريقة القادرية ومنه انبثقت وظهرت طرق متعددة يرجع أصلها إن لم نقل كل الطرق إلى الطريقة القادرية.

والجزائر في العهد العثماني من أهم الدول التي عرفت هاته الظاهرة خاصة وأنها جارة المغرب الأقصى المعروف بانتشار الطرق الصوفية به ولهذا كان من السهل انتقالها إلى الجزائر.

والباحث في هذه الطرق خاصة حقيقة المنشأ يجدها ترتبط بالتصوف الذي هو على ثلاثة أنواع أو نوعين حسب كل باحث وإذا أخذنا بالنوع البارز والواضح في بلاد المغرب وهو التصوف السني الذي هو المرجع المتعارف عليه في الغالب وبه مرجعية الطرق الصوفية دينية سنية خاصة على المذهب المالكي باستثناء الطريقة البقداشية المعروفة بأصلها التركي حيث نجد خلال فترة الحكم العثماني بالجزائر مذهبين أساسيين هما المذهب المالكي ، والمذهب الحنفي والأول الغالب وهو الأصل ببلاد المغرب لذا كان تأثير الطرق الصوفية في المجتمع بحكم المذهب ، لهذا كانت مكانتها عالية لدى الأوساط الاجتماعية بحكم تأثيرها المتنوع.

وهذا الكلام ينطبق لشكل كبير على ماعرفته تونس بحكم عوامل متعددة أبرزها الدين واللغة والعادات والتقاليد بية البلدين ،إضافة إلى تاريخ الفترة العثمانية بالمنطقة باستثناء المغرب الأقصى الذي لم يدخل تحت الحماية العثمانية ،ومن هذا المنطلق نجد أن التصوف والطرق الصوفية كانت بمثابة الحامل الحضاري والثقافي بين البلدين في هاته الفترة مهما كانت فترة نشاط المتصوفة وأصحاب الطرقية ،وعليه كانت الطرق الصوفية الرابط الروحي والديني الذي جسدته عوامل متعددة أهمها الرحلات العلمية وماصاحبها من طلب العلم والحج ، والهجرات بين الحدود نتيجة عوامل معينة ، التي ساهمت إلى توطيد العلاقات بين البلدين لفترات سبقت الفترة الاستعمارية .

وكان للطريقة القادرية والرحمانية والتيجانية والطريقة الشابية الدور الفعال في تجسيد الروابط الدينية والروحية بين البلدين ، وكانت هذه الدراسة التي خصصناها للطريقة الشابية كمثال للطرق الأخرى التي ساهمت في توطيد الروابط الثقافية والاجتماعية بين البلدين خاصة المناطق الحدودية للبلدين ،وذلك بمشاركة القبائل الحدودية التي أظهرت روح التضامن والتآخي بين القبائل القاطنة والمتنقلة في الحدود الجزائرية التونسية

تعريف الطرق الصوفية :

هناك اختلاف في تعريف الطرق الصوفية بين الباحثين لأنها مركبة حسب المنهج التربوي الأخلاقي والعملي العلمي و لهذا نجد من يقول أنها سلم الوصول إلى النجاة و السعادة وذلك مع مجموعة الشعارات والممارسات والأذكار التي تختلف فيها حسب كل طريقة (شهبي ،2007، ص 57).

وهناك من يرى أنها حلقة وصل بين الشريعة الإسلامية التي هي المنطلق إلى الحقيقة الإلهية وعلى هذا الأساس قال المتصوفة المسلمون لا حقيقة من دون شريعة ولا شريعة من دون حقيقة (شترة، 2009،ص31) ، ولفظ طريق يشمل التجربة الصوفية بكاملها و الطريق إلى الله تعالى على أربعة شعب : بواعث ، ودواعي و أخلاق وحقائق (الحكيم ، 1981، ص 722).

ويعرف الشيخ عبد القادر الجيلاني الطريقة بأنها السلوك الذي يوصل إلى رضا الله تعالى وقال الجرجاني في كتابه التعريفات أن الطريقة هي السيرة المختصة من السالكين إلى الله تعالى من قطع المنازل والترقي في المقامات (مفتاح ،2008،ص 252) ، فهي اعتراف بالولاء التام و الإيمان الكامل والانقياد المطلق لشيخ الطريقة الذي هو من الأولياء الصالحين في نظر المؤمنين والذي يستمد قدرته ونفوذه على أتباعه من القدرة الخارقة للطبيعة والإتيان بما يعجز عنه البشر عادة والاستمداد من العلم الديني (فيلالي ،(ب ت)، ص ص 64-65) ، فالطريقة إذا هي طريق خاص بنوع من الناس يتميزون عن غيرهم برؤية معينة في المنهج اللازم إتباعه للوصول للحقيقة المطلقة عبر مراحل ومقامات محددة (التليلي ، 1922، ص35).

كما تعد الطرق الصوفية من الجماعات الدينية الكبرى التي كان لها الدور الفعال والبارز في المجتمع الجزائري في مراحله المتعددة وتعد هذه الطرق من صنع ديني ومنتسبة إلى العقيدة الإسلامية بفئاتها المختلفة فمنهم المعتدلون والمتعصبون والمتشردون والزهاد في الدنيا والخامون للآخرة (مريوش ،2007، ص86) ، هذه الطرق الصوفية تقوم بالدعوة بين القبائل بواسطة أشكال وأنماط مشتركة كالتجار مثلا (فيلالي ،ص65) ، الطريقة عند أهل التصوف هي إقامة ناموس العبودية عبر المرحلة الممتدة من الخلق إلى الحق .

فالطريق بهذا المعنى هو خروج السالك من وهم الغفلة و حب الدنيا ودخوله في طاعة المولى ومحبته (بن خويا ، 2009 ، ص 36) .

نشأة الطرق الصوفية :

- ظهر نظام الطريقة (السهلي، 2005، ص9) في بداية القرن 12م (فيلالي ،ص33) ،تميزت الطرق الصوفية أنها ظهرت بطابع خاص وأسلوب معينا للوصول إلى الفناء والشهود وهي في ذلك تختلف عن سابقاتها في الطابع والأسلوب حيث أن بعض الطرق تأسست قبل غزو المغول (656 هـ – 1258 م) فإنها تعددت وانتشرت وتفرعت منذ القرن 14 م في مناطق متعددة من العالم الإسلامي وكان أول ظهور للطريقة الصوفية التي أسسها الشيخ عبد القادر الجيلاني في بغداد (فيلالي ، ص 34).

وعند ظهور هذه الطرق تميزت بثلاث خصائص هي(تركي ،2009 ص350) :

- الشيخ المؤسس الذي يرجع إليه أتباعه كلهم باعتباره رئيسا للجماعة ومنظما للرابطة .
- الطريقة التي سنها أو المذهب بما فيه من شعائر وطقوس وأوراد .
- نوع العلاقات التي تربط بين أفراد الجماعة وهي علاقات تتوثق أحيانا وتضعف أخرى

وتركيب هذه الخصائص الثلاث هو الذي يعطي لكل رباط أو مشيخة أصالتها ووحدتها وقوتها ويمد كل عضو فيها بنوع من الإحساس حتى يطمئن إلى كونه منتميا إلى هذا التنظيم (تريكي ، ص350) .

إن اجتماع المسلمين في الخطب والدروس والمواعظ إلى أئمة وشيوخ في الحلقات المختلفة حولهم ليستمعوا إلى تفسير القران وشرح أحاديث للرسول صلى الله عليه وسلم وليتعرفوا إلى عقائد دينهم وأحكامه وما يجب أن يقوموا به اتجاه ما يستجد عليهم وما يعترض حياتهم من مسائل ومعضلات مختلفة كانت النواة الأولى لنشأة الطرق الصوفية التي أصبحت تنتشر في كثير من الأقطار العربية والإسلامية (تركي ، ص348).

ومن منتصف القرن (03هـ) شرع الصوفية في تنظيم أنفسهم طوائفا وطرقا يخضعون فيها لنظم خاصة بكل طريقة وكان قوام هذه الطريقة طائفة من الموردين يلتفون حول شيخ مرشد يدلهم ويرشدهم ويبصرهم على الوجه الصحيح الذي يحقق لهم كمال العمل وكمال العلم (بن علية،2008، ص 18)، ومع تطور التصوف العملي وانتشار ظاهرة التصوف في الأوساط الشعبية كثر عدد أتباع المريدين وأصبح المريدون يلتفون حول الشيخ وأصبح الولاء والتقديس والتبجيل للشيوخ وبذا بذات تظهر الطرق الصوفية بشكلها المتعارف عليه الآن ، ولقد كانت هذه الطرق في نشأتها الأولى في القرنين (03هـ) و (04 هـ) تدل على أحوال رجال الصوفية وسلوكا تهم المختلفة وأصبحت فيما بعد تدل على نظام من الرياضات والمجاهدات الصوفية الخاصة بكل طريقة (بن علية ، ص 19).

فالطريق الصوفية ظاهرة إسلامية لا تعترف بالحدود السياسية بين الدول و الشعوب ولا بالمقومات وهي أوسع مجالا من الوطنية الضيقة وهي إحدى عوامل التوحد بين الشعوب (خليفي،2009، ص ص 326-327)، وأسماء هذه الطرق ترجع لأسماء مشايخها وأقطابها البارزين والمشهورين وهكذا تخلدت أسماؤهم من خلال إطلاق مريديهم وأتباعهم ومحبيهم هذه التسميات عليهم ، فإضافة الطرق إلى أسماء هؤلاء الأقطاب لم تكن بأمرهم وإنما حدثت من غيرهم لان كل واحد من المشايخ كانت له آثار واضحة في نشاطه و اجتهاده في ترتيب أذكار وتوظيف أوراد ونشر بعض الآداب والأخلاق الفاضلة (تريكي ، ص350).

فالطريقة الصوفية تكتسي منهاجا واضحا يجب إتباعه للوصول إلى الغاية ، وما وصول الشيخ الطرقي أو المرابط إلى الدرجة العلمية والدينية والروحية إلا بتباع منهج الأقطاب الذين سبقوه ، وطريق الصوفي ليست سهلة كما يظنها بعض ، وإنما تتطلب وقوفا على حقائق صوفية لابد من إكتسابها والمرور عليها ، وما كثرت الموردين والأتباع لدليل على المكانة الشيخ وطريقته ،فهناك شيء خلقي ،وعلمي وروحاني هذا الأخير يدركه الإحساس ولا يعرفه إلا صوفين وذوي الدرجة العالية من العلم والدين.

تعتبر كل طريقة صوفية منهجا معينا وضعه صاحب الطريقة بعد ما وصل إلى رتبة عالية من العلم والأخلاق والزهد وهذا ما اتصف به أغلبية شيوخ الطرقية .

أنواع الطرق الصوفية :

من البديهي بتنوع الزوايا التي أسست ببلاد المغرب عبر العصور، تتنوع الطرقية لأن معظم رجال الطرقية كانت لهم زوايا أسسوها لأغراض معينة، لهذا نجد في الغالب نوعين أساسيين ،وهذا ما ذكره كذلك المؤرخ يحي بوعزيز:

- الطرق الخلواتية : نسبة إلى ظاهرة الخلوة ،التي ميزت شيوخها ،خاصة وأنها كانت في السلوك والورد الخاص بهم .

تميز شيوخها بمعرفتهم للأمور الغيبية الدينية،التي كانت تلقن لأتباعهم والمريدين ،التابعين لهذه الطريقة التي يعرف بها شيخهم (بوعزيز ،2009، ص351).

- الطرق غير خلواتية: تميز شيوخها بعدم معرفتهم للأمور الغيبية ،لكن لهم وردا خاص بهم ولأتباعهم (بوعزيز، ص352).

هذه الأذكار المتنوعة حسب كل شيخ وطريقته، تظهر عقب كل الصلوات .

والطرق الصوفية ما هي إلا منهج أو سلوك معين أخلاقي ديني يجعل من صاحبه يرتقي إلى مقامات أهل الصفة، أو من أخيار الناس.

ومهما كتب عن الطرقية تبق هناك أمور يعرفها المعايش لهؤلاء بحكم رتبة الشيخ ،أو شيخ الطريقة ،ليس بالأمر الهين ،فهناك العلوم الدنياوية التي يعرفها الشيخ بحكم مشواره المكتسب في الحياة من خلال شيخ أخر علمه، أو مايعرف بالمعلم، أو شيخ الطريقة، وفي غالبية الأمور المتعلقة بالطرقية، فهي موروثة بالخبرة والتعلم ،وحسن رضى الشيخ، فكلما كان الرضى أكثر يكون الاكتساب أكثر وواسع.

وبلاد المغرب عرفت طرق متعددة، لكنها في الأغلب ترجع إلى الطريقة الأم الأصلية وهي الطريقة القادرية، لأن معظم الطرق كان أصلها قادري.

الطرق الصوفية في الجزائر خلال العهد العثماني :

عرفت الجزائر في العهد العثماني طرق صوفية متعددة منها ما هو منسوب إلى الطريقة القادرية ومنها ما هو منسوب إلى الطريقة الشاذلية التي تفرعت عنها عدة طرق وهي (ولدأحمد ،2017، ص ص 31-32):

الزروقية (931هـ / 1524م) ، اليوسفية (931هـ / 1524م).

العيساوية (932هـ / 1525م) ، السوجاليه (936 هـ / 1530م).

البكائية (960 هـ / 1553م) ، الكرزازية (1016هـ /1608م) .

الشيخية (1023 هـ /1615 م) ، الناصرية(1079 هـ / 1669م) .

الطيبية (1089هـ 1678م) ، الحنصلية (1114هـ /1702م) .

الزيانية (1145هـ /1733م) ، الحبيبية (1167هـ /1753م) .

التيجانية (1196 هـ /1782م) ، الرحمانية (1208هـ /1793م) الدرقاوية (1239هـ /1823م) .

ووصل عدد الزوايا الطريقة الشاذلية في الجزائر حسب إحصاء 1882 م 32 زاوية يشرف عليها 268 مقدما ويبلغ مريدوها 14574 مريدا (RINN , 1882,P275).

أما الشاذلية الأم فمنذ أن انتشرت في المشرق الإسلامي و في المغرب وكثر أتباعها وظهر لها فروع عديدة ،ويعود كل فرع إلى الشيخ مؤسس مستقل تنتسب إليه (شهبي ،ص111).

أسباب انتشار الطرق الصوفية في الجزائر :

اجتمعت عوامل متعددة أدت إلى انتشار الطرقية نتيجة ظروف اقتصادية وسياسية معينة تمتاز بتدهور الأوضاع خاصة ضعف الأجهزة السياسية و ويحول السيطرة على تجارة البحر المتوسط إلى دول أوربا الغربية ويمكن حصر ذلك في :

. أن المجتمع بدأ ينبذ سلطة المرابطين الذين لم يعودوا يعبرون عن شعور القبيلة ومصلحتها وانغماسهم في الترف (تركي ، ص 354).

. النزعة العقلية التي اتجه إليها الموحدون لم يهضمها المغاربة لحصور العقلية السلفية (بلغيث ،2003 ، 272).

. رغبة الصوفية في الجزائر بوضع في متناول إخوانهم في الدين مبادئ جوهرية للأخلاق والتصوف على غرار ما هو موجود في المشرق (بل ، 1987،ص ص 378-379).

. اعتماد أصحاب الطرق الصوفية ومؤسسيها على وسيلة الإغراء من الكرامات والغفران لكل من تبعهم.

و التي أثرت على عقول البسطاء من الناس وجعلتهم يتقبلونها ويدافعون عنها لذا توسعت الطرق و انتشرت وأصبح لها أنصار وضمنت لنفسها أنصارا و النفوذ (فيلالي ،ص60).

. تلازم ظهور الآفات الاجتماعية مع ظهور التصوف ، وإهمال الحكام والعامة لقواعد الدين والسلوك العام والتهتك الخلقي وانتشاره علنا ، الأمر الذي رفضه الزهاد و العلماء ولم يحتمله أهل السنة (صحراوي ،2009،ص40)

. اتخاذ كافة الطرق للوسط الريفي ميدانا لنشاطها لصلاحيته لنشر الدعوة ،واكتساب الأتباع بحكم ضعف المستوى العقلي لسكان الريف ، ساعد على انتشارها وتوسعها وفي الوقت نفسه ضمنت الابتعاد عن أنظار ومراقبة السلطة التركية (فيلالي ، ص60).

أسباب انتشار الطرق الصوفية في تونس :

اجتمعت مجموعة من العوامل المختلفة التي أدت الى انتشار الطرقية بتونس تختلف مع الجزائر في بعض الجوانب ولعل أهمها (التليلي ،ص 67):. . -انتشار الطرق يعود إلى شهرة صاحب الطريقة على مستوى العالم الإسلامي ، لذا أي طريقة يكون انتشارها بين الناس أساسه الرصيد الديني والمعنوي الذي تتما عبه ، وخير دليل على ذلك الطريقة القادرية .

العامل الطبيعي الذي يؤثر على الجانب النفسي التي تصلح تبحث عن اللجوء والاحتماء وتكون بذلك العقليات قابلة للطرق الصوفية من حيث الأوراد والمحتويات الروحية التي تؤثر على النفسيات المهزوزة ، ضف إلى ذلك الجهل الذي يسود تلك المناطق والذي يمثل حقلا خصبا لتقبل مبادئ الطرقية ويكون بالتالي لها مجالا فسيحا لانتشارها .

. العامل الاجتماعي والاقتصادي بحكم النشاط الحرفي و التجاري لبعض السكان في الأقاليم والجهات المختلفة من تونس خاصة سكان المدينة واختلاطهم بأجناس وظهور طبقة مثقفة بهذه المناطق كان له تأثير في قضية انتشار الطرقية بها .

الطريقة الشابية

تنتسب هذه الطريقة الى أحمد بن مخلوف الشابي (بوعتو ،2013 ،ص417)، وزاد صاحب (الفتح المنير) ،وهو ثالث حفيد للمترجم ، بقية نسبه إلى الجد التاسع عشر ، وهو عبدالله بن مسعود ، وأشار إلى انه اعتمد في هذه السلسلة النسبية على ما وجده عند أسلافه، غلبت عليه نسبته إلى بلدته (الشابة) بالساحل التونسي ، التي ولد بها، ونشأ وهو الذي لقب نفسه بالشابي ، فقد وسم بهذا اللقب مجردا لشهرته عند بعض معاصريه ، ومن ثم ظل يطلق هذا اللقب على أبنائه حتى اليوم ، ويكاد يكون مختصا بهم دون غيرهم من سكان الشابة بالرغم من مغادرة جدهم لوطنه الأصلي منذ تسع وخمسين وخمسمائة سنة لأنه غادر الشابة ذات اليوم من سنة 861هـ\1456م ، ولقب بالقيرواني أيضا ، نظرا إلى انتقاله إلى القيروان واستقراره بها ومباشرة نشاطه الصوفي بها أيضا (الشابي ،2015،ص ص 53-54)، حيث كان معلما بها ويقول عنه الأستاذ محمد الأمين بلغيث : "تتلمذ على يديه أقطاب التصوف في هذا العصر مثل أحمد الغوث التباسي التوزري وأحمد المقنعيالحنَّاشي(الجزائري)،وهما دعاة الشابية في حياة صاحبها أحمد بن مخلوف في إفريقية الحفصية، وشيئًا فشيئًا اتسعت قاعدة مريديه في ابوادي والمدن، وروض القبائل وتاب الأعراب على أيدي تلاميذه، وكان الولي العارف بالله أحمد بن مخلوف صاحب مدرسة تربوية واجتماعية، فقد بدأ معلمًا للقرآن الكريم، وناشرًا للأمن بين الريف والصحراء الشرقية الذي عرفت فوضى عارمة أواخر العهد الحفصي وبداية العهد العثماني" (بلغيث ،2007،ص111) . وتقوم الطريقة على ثلاثة أصول "علم الشريعة " "وعلم التوحيد"وعلم النفوس يعني الأخلاق الصوفية "" (الشابي ،1981،ص 151)، ترك الشيخ أحمد بن خلوف بعد وفاته خمسة ذكور و بنت واحدة وهم (بلغيث ،ص ص 112-113):

1-أبو عبد الله محمد الكبير(حوالي 876هـ/1471م)وهو أول خليفة لوالده على ميراث الطريقة الشابية بعد وفاته عام(898هـ/1492م) .

2- سيدي عرفة الشابي الولد الثاني لأحمد بن مخلوف والمؤسس الحقيقي للحركة الشابية وهو الذي جعل منها دين ودولة،ولد حوالي 880هـ/1475م ..

3- أبو الفضل وهو الولد الثالث في الترتيب ولد حوالي سنة 880هـ/1475م .

4- أبو الطيب وهو الولد الرابع ولد سنة 882هـ/1477م ، تولى إمارة القيروان عقب وفاة سيدي عرفة سنة (949هـ/1542م) واستمرت ولايته إلى سنة (965هـ/1557م) وهو تاريخ مقتله وسقوط الدولة الشابية على أيدي العثمانيين.

5- أبو بكر"أبوالكرم" وهو الولد الخامس ولد حوالي(884هـ/1479م) .

6-أمة العزيز: ولدت حوالي سنة 890هـ/1485م أي قبيل وفاة والدها بثماني سنوات فسميت باسم أمها.

أهم الطرق الصوفية التي لها دورا في التواصل الصوفي بين الجزائر وتونس :

إضافة للطريقة الشابية هناك طرق أخرى كان لها الدور الفعال بين البلدين وهي :

الطريقة الرحمانية (47)..

الطريقة التيجانية (48) .

الطريقة القادرية (49

القبائل التي ساندت الطريقة الشابية في الجهة الشرقية الجزائرية وتونس:

الحنانشة : تعتبر قبائل الحنانشة والقبائل الموالية لهم في الطريقة الشابية أيام مؤسس الأسرة والطريقة الشابية على يد أحد أبنائها أحمد بن نصر المقنعي الوفي ومقدم أحمد بن مخلوف وتلميذه الأثير بعد سنة 878هـ/1473م، فوفرت قبائل الحنانشة كثرة الأنصار ووفرة الأموال، ويتكون الحنانشة من ثلاثة عناصر اندمجت مع بعضها البعض بمرور الزمن (بلغيث ، ص118) وهم (الشابي ، ص ص 70-71) :

.- الشاوية : وهم بربر الأوراس من هوارة والحراكتة وبني بربار والنمامشة ..-هوارة وإخوانهم أداسة :وهم فرعان لشعب زناتة الذي كان يعيش في حالة بداوة بطرابلس ،وهناك من تحول منهم الى المعرب مع الفتح الإسلامي .

.- عرب بني هلال وبني سليم:وهم الذين قدموا إلى افريقية خلال القرن الخامس الهجري . وهذا ما يبينه الأستاذ بلغيث حيث يقول :"وكان الحنانشة سادة المنطقة الشرقية إلى العمق التونسي حيث سيطروا على قبائل وادي مجردة ومن جملة القبائل التي انضوت تحت نفوذ الحنانشة قبائل خمير، وورغة وشارن وأولاد بوغانموالفراشيش، وبذلك كان الحنانشة قوة حقيقية صلبة قل مثيلها في تاريخ تونس والجزائر الشرقية أيام الحفصيين وبداية الوجود العثماني" (بلغيث، ص118)، حيث اعتبرهم حاكم عنابة الأسباني "ألفار قوميث الخصال" ،في رسالته المؤرخة في 13 سبتمبر 1535م والموجه الى ملك اسبانيا أنهم القوة الحقيقية في المنطقة القريبة من عنابة .، وهناك وثيقة أخرى اسباتية في 943هـ/1536م تبين أن"لقبيلةالحنانشة شيخان يقودان ألفًا وخمسمائة من الرماة: القائد الأول يسمى المسعدي بن ناصر بن أحمد مرداس رئيس ألف منهم، وخيامهم منصوبة بتبسة بمنأى عن عنابة بمسافة يومين.والقائدالثاني:هو الشيخ عبد الله بن صولة ويقود خمسمائة (الشابي ،ص42) .

وفي منتصف القرن السادس عشر عدهم" مارمول" من السكان الذين لهم أهمية، وهم يقطنون في أرياف قسنطينة وعنابة وبإمكانهم مع أولاد يحيى تجهيز خمسين ألف فارس (بلغيث ، ص118) ، علما أن في هذه الفترة كانت قبيلة الحنانشة قوية وامتد نفوذها إلى بعض القبائل التونسية مثل :خمير ، شارن ، ورغة ،أولاد بوغانم ،القراريش (الشابي ، ص72) .

إضافة لذلك أن الحنانشة قبيلة عربية عتيدة تقطن نواحي الأوراس وتبسة وسوق أهراس وشمال غرب تونس و كانت إلى حوالي 1830م هي صاحبة النفوذ الواسع على مدى الحدود التونسية وهذا بمنطقة الحنانشة ومن أبرز العائلات أولاد خليفة، وأولاد ناصر، أولاد سلطان، أولاد بوعزيز، وأولاد إبراهيم، ومنذ التاريخ المذكور أعلاه حلت محل الحرار عائلة (الرَّزْقِي) على رأس الحنانشة. وكانت الدرع القوي للحركة الشابية، بما يقدمونه للحركة من رجال ومال لأنهم يقطنون منطقة غنية بالمال والرجال (بلغيث ، ص 118) .. أولاد سعيد: كونوا قوة بشرية كبيرة سكنت الشمال والساحل التونسيين، يرتفع عدد فرسانهم إلى 2700 فارس، وقد أسهم عدد كبير منهم في القتال الدائر بين الشابية والسلطة الحفصية والإنزال الأسباني في جربة والمنستير إلا أن أولاد سعيد قد ابتلوا بقائد مراوغ على حد تعبير علي الشابي وهو المرابط الحسن فانضم لمن يدفع أكثر لهذا كان لعبة بيد خير الدين باشا، والسلطان الحفصي (بلغيث ، ص 119).

قبيلة طرود: وهي من القبائل القوية التي ناصرت سيدي عرفة، وقد جندها هو نفسه وأقحمها في دعوته، عن طريق من كان يتردد منها الى القيروان ومنهم من كان يشتكي من قلة السلاح خوفا من قطاع الطرق ، ودأبوا على زيارة سيدي عرفة والاستماع اليه ، وبعد ذلك زارهم في مواطنهم بسوف، وقام بإرشادهم، وعين لهم مقدمين من بينهم لتوجيههم (الشابي ، ص77) ، لقد ساهمت طرود مساهمة فعالة في نصرة الشابية وجندوا ثمانمائة فارس، وأعدوا خمس مائة فرس والتحقوا بسيدي عرفة، وحين وافوه قال لهم كلمته المشهورة:" يا طرود من نصرتموه انتصر، ومن كسرتموه انكسر، قليلكم كثير وكثيركم لا حدّ له " وحافظت الشابية على علاقات متميزة بينها وبين طرود في الصحراء الشرقية رغم المنافرة التي كانت تبديها طرود أحيانًا (بلغيث ، ص 119).

. قبيلة دريد: اعتنقت طريقة الشيخ سيدي عرفة وأخلصت في التتلمذ عليه وفي الحرب معه فأمدته بالأموال والرجال في حربه والتزمت بدفع العادة لي سيدي عرفه ولأسرته من بعده ، توزعت قبيلة دريد في عصر سيدي عرفة على أماكن مختلفة من افريقية أهمها السّرس وأحوازها وبوكس التي أسسوها بالقرب من تبسة، وكانوا يقومون بدور الحرَّاس لسيدي عرفة ولأفراد أسرته من بعده، ولم ينفصلوا عن الشابية ولا نازعوهم إلى أن استمالهم حمودة باشا المرادي المتولي سنة 1041هـ/1631م ورسَّمَ طائفة عظيمة منهم في ديوان الجند سمُّوا بالمزارقية، لكن ذلك لم يدم طويلا فسرعان ما خضد شوكتهم بوزيان الشابي وأرجعهم إلى طاعته (الشابي ، ص 79).

. النمامشة وبنو بربار: تتلمذ النمامشة وبنو بربار على يد الشيخ سيدي عرفة وساهموا معه في حروبه بالرجال والأموال ، وفرضت عليهم العادة فقدموها وباستمرار وكان نفوذ سيدي عرفة في منطقة قسنطينة وعنابة والأوراس و في الزيبان وأصبحت هذه الأماكن حارة من حارات القيروان بحكم خضوعها لنفوذه وتبعيتها لعاصمته القيروان (الشابي ، ص 80) .

. قبيلة الهمامة: كان تنتشر قبيلة الهمامة بجهة قفصة الغربية، والجهة الشرقية عند الرقاب والقيروان، احتلت مكانة بين مريدي الشابية أيام عرفة الشابي .حيث كانت القاعدة الصلبة القوية للشابية أيام مؤسسها الروحي العارف بالله أحمد بن مخلوف ورائدها السياسي والعسكري والعلمي سيدي عرفة، وهذا يدل على المكانة التاريخية التي أطرت فيها الشابية كل هذه القبائل التي التزمت بتقديم الولاء للسلطة الشابية روحيا وسياسيا وماليا وهو ما أهلها إلى تدوين تاريخها السياسي والروحي (بلغيث ، ص121) .

زوايا الشابية بالمنطقة الحدودية بين الجهة الشرقية والشرقية الجنوبية للجزائر وغرب تونس :

قي حقيقة الأمر الدراسات المتعددة كانت جلها تركز على بيت الشريعة أكثر من انتشار الزوايا لهذه الطريقة وذلك ناتج عن قلة هذه الزوايا ان لم نقل أنها كانت منعدمة وذلك ناتج عن الظروف المتعددة التي عرفتها الطريقة ،التي وجدت في بيت الشريعة المتنفس الحقيقي لها لنشر تعاليمها وثقافتها ونشاطاتها المختلفة ، رغم ذلك وجدت مستقرا لها ومكان روحي تدعم به نشاطها فكانت بعض المساجد والزوايا لها أثرا في نشاط الطرقية مثل(بن حيدة ،2017 ، ص214) :

ـ مسجد الدرواني بالقيروان الذي يعتبر المركز الأول لطلاب أحمد بن مخلوف.

ـ مسجد الشابي يسوف .

ـ زاوية جبل ششار التي أسسها محمد الهادف .

ـ زاوية سيدي مسعود التي لعبت دورا في حل النزاعات بين القبائل مثل :
النمامشة وأهالي شاشار .

ـ زاوية واحة سيار أسسها الشيخ مسعود الشابي في كنف قبيلة بابار جنوب خنشلة .

الشابية و الأتباع بين الحدودين ومساهمتهم في التواصل بالمنطقة :

تميزت الطريقة الشابية بخصائص معينة مما جعلها تكتسب مكانة بين القبائل الحدودية بين الجزائر وتونس في الفترة المدروسة وتساهم في التواصل الصوفي قي المنطقة ومنها (بن حيدة ، ص 219) :

ـ ساهمت قي استقطاب الأتباع من مختلف القبائل التي قطنت واستقرت في الحدود لبن الجزائر و تونس .

ـ القبائل التي ساندت الشابية ساهمت في تدعيم التواصل الصوفي بين تونس والجزائر، حيث شكلت بحكم موقعها غير ثابت والمتنقل بين المجالين وسيلة أساسية في دعم نفوذ الطريقة ، خاصة قبيلة الحنانشة،وطرود ،إضافة إلى قبائل أخرى مثل :دريد ،أولاد بوغانم ،أولاد سعيد ،شتاتة ،الفراشيش ، شارن ،أولاد سديرة ،ورغة ،خمير ، نهد .

ـ كما ساهم تنوع التركيبة القبلية المدعمة للطريقة الشابية في اتساع مجالها الجغرافي الذي شمل الجزء الغربي من تونس والشمال الشرقي وجنوبه من الجرائر المعروف بايلك الشرق.

خاتمة :

ومن خلال المعطيات السابقة القليلة التي ذكرناها سابقا يتبين لنا أن هناك عوامل مشتركة بين القبائل الحدودية للبلدين جسدها شيوخ الزوايا والطرقية، كانت الطريقة الشابية مثالا حيا على التعاون والتضامن بينها ضد أي خطر كان حاملتا معها طابعا ثقافيا حضاريا دينيا جمع القبائل باختلاف أعدادها وطابعها في مناسبات متعددة ، وهذا مابين الجانب الحقيقي للتواصل الطرقي ومساهمته في توطيد الروابط بين الجزائر وتونس كان الفضل فيه قي كثير من الأوقات للطرق الصوفية التي تبنتها القبائل الحدودية للبلدين.

قائمة المراجع :

باللغة العربية :

1. بل ، ألفرد، (1987م) ، الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي من الفتح العربي حتى اليوم ، ترجمة عبد الرحمن بدوي ، لندن ، دار الغرب الإسلامي .
2. بلغيث، محمد الأمين، (2007)، الشيخ محمد بن عمر العدواني مؤرخ سوف والطريقة الشابية ، الجزائر، دار الكتاب الغد للنشر والتوزيع .
3. بلغيث، محمد الأمين ، (2003م) ، الحياة الفكرية بالأندلس في عصر المرابطون ، 479هـ/ 539 هـ ، 1085م / 1144م ، أطروحة دكتوراه في التاريخ ، جامعة الجزائر .

4. بن حيدة ، يوسف ، (2017) ، التواصل الصوفي للطرق الصوقية بين الجزائر وتونس خلال العهد العثماني الطرقة الشابية نموذجا ، أطروحة دكتوراه علوم في التاريخ ، ،جامعة سيدي بلعباس ، الجزائر .بن خويا، إدريس،(2009) واقع الطرق الصوفية بإقليم التوات بين المرجعية المعرفية والممارسة العملية ، الملتقى الدولي 11 ، التصوف في الإسلامي والتحديات المعاصرة ، الجزائر ، جامعة أدرار ، 2009.
5. بن عتو ، بن عون، (2008) ، الدين وتجلياته في السلوك الاجتماعي للمجتمع الجزائري بعد الاستقلال ، أطروحة دكتورة في علم الاجتماع، جامعة سيدي بلعباس ، الجزائر .
6. بن علية ، وفاء ،(2008) ، زاوية الهامل وعلاقتها بالمقاومة الشعبية والثورة الجزائرية ، رسالة ماجستير في التاريخ ، المدرسة العليا للأساتذة ، بوزريعة – الجزائر.
7. بوعزيز ، يحي ، (2009) ، ثورات الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين ، الجزائر، دار البصائر للنشر والتوزيع.
8. تركي ، عبد الرحمان ، (2009) ، نشأة الطرق الصوفية بالجزائر ، دراسة تاريخية ، الملتقى الدولي 11 ، التصوف في الإسلام والتحديات المعاصرة ، الجزائر ، جامعة أدرار ، 2009.
9. التليلي، العجيلي ، (1992) ، الطرق الصوفية والاستعمار الفرنسي في البلاد التونسية (1881-1939) ، بمنوبة تونس ، منشورات كلية الاداب.
10. الحكيم ، سعاد ، (1981) ، المعجم الصوفي ،بيروت ، لبنان، دندرة للطباعة والنشر.
11. خليفي، عبد القادر، (2009) ، الشيخية والقادرية ، الملتقى الدولي 11 ، التصوف في الإسلام والتحديات المعاصرة ، الجزائر، جامعة أدرار 2009 .
12. السهلي، عبد الله ، (2005) ، السعودية، الطرق الصوفية ، دار كنوز اشبيلية للنشر والتوزيع .
13. الشابي ، علي ، (2015) ، تاريخ الشابية خلال العهدين الحفصي والعثماني ، تونس ، دار نقوش عربية .
14. الشابي ،علي ، (1981) ، عرفة الشابي رائد النضال القومي في العهد الحفصي ، تونس، الدار العربية للكتاب .
15. شتره، خير الدين، (2009)، البعد الثقافي في الطرق الصوفية في الجزائر ، مجلة الأثر لمديرية الثقافة لولاية بشار العدد 3 ، الصفحات 30-47 .
16. شهبي ، عبد العزيز ،(2007)، الزوايا والصوفية و العزابة والاحتلال الفرنسي في الجزائر، الجزائر ،دار الغرب للنشر والتوزيع.
17. صحراوي، عبد القادر ، (2009) ، التصوف و المتصوفة في الجزائر العثمانية مابين القرنين (16م . 18م) ، أطروحة دكتوراه في التاريخ ، جامعة سيدي بلعباس ، الجزائر .
18. فيلالي ، مختار الطاهر، (ب، ت ، ط) نشأة المرابطين و الطرق الصوفية وأثرها في الجزائر خلال العهد العثماني، باتنة ، دار الفكر القارفيكي.

19.مريوش ، أحمد ،(2007)، الحياة الثقافية في الجزائر خلال العهد العثماني ، الجزائر، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة نوفمبر 1954 .
20.مفتاح ،عبد الباقي ، (2008) ، أضواء على الشيخ عبد القادر الجيلاني و انتشار طريقته عين مليلة ، الجزائر ، ، دار الهدى للنشر والتوزيع .
21.ولد أحمد ، عبدالقادر،(2017) ، الطرق الصوفية والادارة الاستعمارية في منطقة تلمسان ، أطروحة دكتوراه علوم في التاريخ ، سيدي بلعباس ، الجزائر .

باللغة الأجنبية :

Louis Rinn . , Marabouts Et Khouans.1884)
Etudes Sur L'islamen En AlgérieAlger AdolpheJourdanLibraire.